الدرس رقم: (03)

اختيار موضوع مذكرة التخرج

مقدمة

عزيزي الطالب:

إنّ من أصعب لحظات البحث في مذكرة التخرج أن يرسو بك الموقف على اختيار موضوع لمذكرتك، لأن الاختيار بقدر ما هو موقف يعكس الاستقلال الفكري في شخص الطالب، إلا أنّه موقف مصيري يُعلق عليه نجاح تجربتك في الكتابة التاريخية من عدمها، وبالتالي فإنّ خطوة اختيار الموضوع هي نقطة البدء في الانجاز، بل أن المؤرخ الاغريقي يوليبيوس (230-120 ق م) اعتبرها **"هي نصف العمل"** وفي مضان آخر كتب حولها يقول: **"ليست نصف الكُل ولكنها تمضي قدما إلى النهاية"** (أرنولد نوينبي: الفكر التاريخي عند الاغريق من هومر إلى هيراكليس، ص173).

لكن خلف هذا الاعتبار تترآى لنا عديد الأسئلة القلقة التي تتعلق بحدود حرية الاختيار عند الطالب؟ ومساحة سلطة المشرف في نقطة البدء الأولى من البحث طالما أنّها محفوفة بالعوائق والمتاهات؟

وهنا يتطلب الموقف تحديد حرية الطالب ومساحة سلطة المشرف لضمان العبور من نقطة البدء الأولى في اختيار الموضوع إلى إعداد مشروع البحث.

حرية الطالب ومساحة سلطة المشرف

يعتمد اختيار موضوع مذكرة التخرج في أول الطريق على ركنين أساسين:

أولا: رغبة الطالب في البحث: وهي مسألة عقلية ونفسية تعكس الاستعداد والدافع إلى البحث والثقة بالنفس في الانجاز، إذ عادة ما يتجه الطالب في اختصاص التاريخ ،برغبة إلى الاهتمام بوجه من وجوه الماضي وقد تصبح

العناية عندهُ اختيارا يعتنقه ويصبح محل درسه واهتمامه بل ويلهج به في مناقشاته لذلك قيل "**أن العمل التأريخي يبدأ عادة برغبة أولية في العناية بهذا أو ذاك من وجوه الماضي**" (قسطنطين زريق: نحن والتاريخ، ص70).

ثانيا: سلطة المشرف في اختيار الموضوع: على الرغم من أنّه لا توجد هناك قاعدة ثابتة لاختيار الموضوع، إذ يمكن أن يمر عبر مسالك أخرى مثل الصدفة أو الحوار والمناقشة لكن يبقى ذلك محدودا في نطاق ضيق ولا يحصل مع كلّ طالب باحث ومن هنا صار حضور المشرف ضروريا في اختيار الموضوع نظرا لخبرته واطلاعه بطبيعة الموضوعات و كذلك إدراكه لمخاطر الاختيار غير المناسب الّذي يؤدي بالطالب إلى الاعاقة في البحث أو الانكسار إلى غير رجعة .

فقد ينتهي الاختيار بالطالب إلى "**الضياع في خضم آفاق شاسعة ومصادر عزيزة ...أو قد يكون اختياره محدود الآفاق فيؤدي به إلى الإحباط واليأس**" ، أو ربما يكون موضوع البحث "**في تاريخ قوميات وشعوب يجهل الطالب لغة وثائقها ومصادرها**"(عبد الاله بنمليح ومحمد ستيتو: كتابة البحوث والأطاريح الجامعية، ص26) .

أو في حالات أخرى حين يكون الموضوع قد استنفذ بحثه في مستوى الوثائق أو أنّه خضع لمختلف الأدوات المنهجية والعلوم المساعدة التي فسرت بها مادته وبالتالي لم يعد يرجى منه الجديد أو يقوم منه صرح للاجتهاد، ثمّ أن المشرف هو الضامن لجملة الواجبات المؤدية إلى نجاح الطالب في اختيار موضوع بحثه وهي الواجبات التي حددها المؤرخ البريطاني الشهير **أرنولد توينبي (1889–1975)** في ثلاثة واجبات يتعلق **الواجب الأول "بضرورة اختياره لموضوع يجلب المتعة لقرائه"**، ويكمن **الثاني** في تحديده "**لمعلم البداية ومعلم النهاية**" وذلك حتّى يطرد من سار الطالب كلّ مغامرة غير محسوبة تضفى إلى الفشل.

فالمشرف يرى بتجربته وحمولته المعرفية بداية موضوع البحث ،كما يتشوف إلى نور آخر النفق. ومن هنا يمكن له أن يقترح على الطالب عنوانا مناسبا لبحث مذكرته ،رغم ان ذلك منوطا بضبطه في مشروع البحث ، كما سيأتي معنا في الدرس الرابع .

أما في **الثالثة** فيضع في اعتبار الطالب "**ما ينبغي أن يشتمل عليه البحث وما ينبغي أن يتغاضى عنه**" وفي ذلك تحديد لمسارات البحث وربح في الوقت وتفاديا لكل ما يمكن أن يشوش على الطالب الباحث أو يؤدي به إلى مسارات التيه والتخبط التي تبعده عن جادة بحثه (أرنولد نوينبي: الفكر التاريخي عند الاغريق من هومر إلى هيراكليس، ص ص235، 236، 237).

وإذا كانت هذه الخطوات السابقة ذكرها قد أضفت إلى التوافق بين المشرف والطالب حول موضوع ما لمذكرة التخرج ، فإن المشرف بعد ذلك يدفع بالطالب إلى الجانب العملي من اختيار الموضوع ، و المتمثل في إعداد مشروع البحث ، الذي يعتكف الطالب على انجازه و يكون حصيلة قراءاته في آفاق الموضوع الذي تم اختياره .